الفصل الأول

مناهج البحث ... مدخل تعريفى

* علم مناهج البحث Methodology .
* المعرفة .. والتفكير العلمى .
* المنهج العلمى .. والعلوم الإنسانية .
* ما هو العلم؟ .
* التعريف بمناهج البحث .
* طبيعة البحث فى دراسات الطفولة .
* طبيعة البحث فى إعلام وثقافة الطفل .

obeikandl.com

obeikandl.com

علم مناهج البحث:

أصبحت مناهج البحث Methodology علماً له أصوله وقواعده ، بعد التقدم الهائل الذى حدث مؤخراً بصورة مكثفة ، وفى كافة مجالات الحياة . وتعتبر مناهج البحث ـ فى ظل الانفجار المعرفى وعصر المعلومات ـ الأساس الذى يُبنى عليه أى علم ويزدهر ويتقدم .

ولولا مناهج البحث التى تقوم على قواعد التفكير العلمى السليم ، لما أمكن للبشرية الاستفادة من كم المعلومات والمعارف الذى يزداد ساعة بعد ساعة وفى كل فروع العلم . ولأصبحت المعلومات مجرد أرقام لا مردود لها ولافائدة منها .

إن حجم وسرعة سير التقدم المعاصر فى المعرفة ، وفى الطرق الفنية للحصول عليها ونشرها ، يؤديان بنتائج البحث العلمى فى كثير من الأحيان فى الوقت الراهن إلى أن تكتسب إلى حد ما خاصية سرعة الزوال . فالمعرفة التى احتاج تكوينها إلى مالا يزيد عن عشر سنوات مضت قد تقبل اليوم على أنها شىء واضح وعادى .

وفضلاً عن هذا ، نجد أن البحث العلمى لايقف عند فكرة واحدة بشأن أى مشكلة. لأن كل فكرة تُقبل بوصفها شيئاً مؤقتاً ، محطة توقف على طريق رحلتنا نحو فهم أكمل ولكن ليس الفهم الكامل أبداً .

إن طبيعة الأفكار العلمية كما أوضح «زيمان» مؤقتة تماماً . وكل فكرة يتم اختبارها والتأكد من صحتها هى خطوة صغيرة إلى الأمام فى حصيلة الفهم .

المعرفة.. والتفكير العلمى :

والإنسان طالما يفكر ـ تفكيراً علمياً ـ فهو يستخدم طرائق خاصة للبحث سعياً إلى المعرفة . وتختلف تلك الطرائق من إنسان لآخر ، ومن فترة زمنية إلى أخرى . فالإنسان فى القرون القديمة كان يصل إلى المعرفة بطرق تختلف عن تلك التى يصل بها الإنسان فى العصر الحالى إلى المعرفة .

كان الإنسان القديم يصل إلى المعرفة عن طريق الصدفة ، أو المحاولة والخطأ . وإذا حدث شىء لايستطيع فهمه كالبرق أو الجذام كان ينسبه غالباً إلى قوى غيبية أو يقبل ما انتقل إليه من تفسيرات أسلافه . ولم تكن هذه الطرق فى تحصيل المعرفة فعالة ، بل كانت تؤدى فى كثير من الأحيان إلى أخطاء جسيمة . ولم تستطيع أن تبنى تراثاً ضخماً من المعلومات الموثوق بها يمكن أن يسهم بشكل فعال فى تحقيق التقدم

الاجتماعى . وقد استطاع الإنسان أن يزيد من فرص تحصيله للمعرفة بعد أن توصل إلى المنطق ، وهو طريقة للتفكير فى الأشياء .

ويمكن تلخيص الطرق القديمة لتحصيل المعرفة فيما يلى[١] :

١ ـ السلطة . ٢ ـ التقاليد .

٣ ـ الكنيسة والدولة وقدامى العلماء . ٤ ـ الخبرة الشخصية .

٥ ـ الاستنباط (مايصدق على الكل يصدق أيضاً على الجزء) .

٦ ـ الاستقراء (مايصدق على الجزء يصدق على الكل) .

بعد ذلك ، ونتيجة لثورة فرانسيس بيكون Francis Bacon على الطريقة الاستنباطية فى التفكير ، ومحاولته لاستبدالها بالمنهج الاستقرائى ، بدأ التجميع غير المنظم للمعلومات يأخذ طريقه إلى الوراء ليحل محله الجمع الهادف المنظم للحقائق والمعلومات، والذي يمثل «التفكير التأملى» الذى ينتقل بين الاستنباط والاستقراء .

وقد حلل «جون ديوى» John Dewey فى كتابه «كيف نفكر» How we think سنة ١٩١٠ مراحل النشاط المتضمنة فى التفكير التأملى . ويمكن تمييز المراحل الخمس التالية فى عملية حل المشكلة[٢] :

١ ـ الشعور بالمشكلة .

٢ ـ حصر وتحديد المشكلة .

٣ ـ اقتراح حلول للمشكلة (الفروض) .

٤ ـ استنباط نتائج الحلول المقترحة .

٥ ـ اختبار الفروض علمياً .

أدى التفكير التأملى ، وظهور الأسلوب الاستقرائى Induction إلى الثقة فى المعلومات والمعارف التى يحصل عليها الإنسان . وبدأ التمييز بين المعرفة العلمية والمعرفة غير العلمية ، بناء على أساليب التفكير والمنهج المتبع فى تحصيل تلك المعرفة . فالمعرفة العلمية هى التى يتبع الباحث فى التوصل إليها قواعد المنهج العلمى السليم .

وتتكون المعرفة العلمية من ثلاثة عناصر أساسية هى[٣] :

١ ـ استخدام الملاحظة الدقيقة والمحددة بطريقة موضوعية ومنظمة لظاهرات الكون.

٢ ـ استخدام إجراءات مقننة مثل التجريب والقياس .

٣ ـ استنباط نتائج عامة عن هذه الظاهرات وتوضيح العلاقات السببية والترابطية

بينها .

وتقوم المعرفة العلمية ـ كما ذكرنا ـ على الأسلوب الاستقرائى الذى يعتمد على الملاحظة المنظمة للظواهر ، وفرض الفروض والتثبت من صحتها أو خطئها بإجراء التجارب وجمع البيانات وتحليلها .

والاستقراء يبدأ بالجزئيات ليتوصل إلى العموميات أو النظريات والقوانين ، بعكس الاستنباط الذى يبدأ بالقوانين ليستخلص منها الحقائق الجزئية . فالاستقراء هو الوصول من الجزئى إلى الكلى. والاستنباط الوصول من الكلى إلى الجزئى .

ويمكننا أن نستخلص مجموعة من الخصائص التى تتسم بها المعرفة العلمية أياً كان الميدان الذى تنطبق عليه ، والتى تتميز بها تلك المعرفة عن سائر مظاهر النشاط الفكرى الإنسانى . ونستطيع أن نتخذ من هذه الخصائص مقياساً نقيس به مدى علمية أى نوع من التفكير يقوم به الإنسان . وهذه السمات هى[٤] :

١ ـ **التراكمية** : فالعلم معرفة تراكمية . والمعرفة العلمية أشبه بالبناء الذى يشيد طابقاً فوق طابق ، مع فارق أساسى هو أن سكان هذا البناء ينتقلون دوماً إلى الطابق الأعلى . أى أنهم كلما شيدوا طابقاً جديداً انتقلوا إليه وتركوا الطوابق السفلى لتكون مجرد أساس يرتكز عليه البناء .

ويسير هذا التراكم الذى تتسم به المعرفة العلمية فى الاتجاهين: الرأسى ، والأفقى . بمعنى اتجاه التعمق فى بحث الظاهرة نفسها واتجاه التوسع والامتداد إلى بحث ظواهر جديدة .

٢ ـ **التنظيم** : أى عدم ترك الأفكار تسير حرة طليقة ، وإنما نرتبها بطريقة محددة وننظمها عن وعى . فالعلم تنظيم لطريقة أفكار أو لأسلوب ممارستنا العقلية ، وفى الوقت ذاته تنظيم للعالم الخارجى .

٣ ـ **البحث عن الأسباب** : لايكون النشاط العقلى للإنسان علمياً بالمعنى الصحيح، إلا إذا استهدف فهم الظواهر وتعليلها ، ولاتكون الظاهرة مفهومة بالمعنى العلمى لهذه الكلمة ، إلا إذا توصلنا إلى معرفة أسبابها . ومعرفة أسباب الظواهر ، هى التى تمكننا من أن نتحكم فيها على نحو أفضل .

٤ ـ **الشمولية واليقين** : فالمعرفة العلمية شاملة ، بمعنى أنها تسرى على جميع أمثلة

الظاهرة التى يبحثها العلم . والحقيقة العلمية قابلة لأن تنقل إلى كل الناس الذين تتوافر لديهم القدرة العقلية على فهمها والاقتناع بها ، أى أنها حقيقة عامة أو «مشاع Public » تصبح بمجرد ظهورها ملكاً للجميع . وهذه الصفة هى التى تجعل الحقيقة العلمية «يقينية» . فكل عقل لابد أن يكون «على يقين» من تلك الحقيقة التى تفرض نفسها عليه بأدلة وبراهين لايمكن تفنيدها .

٥ ـ الدقة والتجريد : من غير المعقول فى الدراسة العلمية أن تترك عبارة واحدة دون تحديد دقيق لها . أو تستخدم قضية يشوبها الغموض أو الالتباس . والتجريد صفة ملازمة للعلم ، سواء تم ذلك التجريد عن طريق الرياضيات أو عن طريق نوع آخر من الرموز أو الأشكال .

وتنقسم المعرفة إلى ثلاثة أنواع هى :

١ ـ المعرفة الحسية أو التجريبية ، أو المعرفة بالخبرة : ويصل إليها الإنسان من ملاحظته للظواهر ملاحظة بسيطة نتيجة إدراكه الحسى العادى لهذه الظاهرة ، دونما محاولة منه لإيجاد صلات وعلاقات من هذه الظواهر أو عناصر الظاهرة الواحدة .

٢ ـ المعرفة الفلسفية : ويصل إليها الإنسان بإعمال العقل . وتتعلق بالإضافة إلى العالم الواقعى أو الطبيعى ، بالعالم «الميتافيزيقى» أيضاً أى ما وراء الطبيعة . وتستخدم فى ذلك طرق القياس المنطقية والحكم على الشىء بمضاهاته بشىء آخر يشترك معه فى نفس الخصائص والظروف .

٣ ـ المعرفة العلمية : وتعتمد على الأسلوب الاستقرائى القائم على الملاحظة العلمية المنظمة للظواهر ، وفرض الفروض ، وجمع البيانات وإجراء التجارب . والمعرفة العلمية معرفة موضوعية مبنية على حقائق مجردة .

ويمكن التفرقة بين المعرفة العلمية وبين غيرها من أنواع المعرفة فيما يلى[٥] :

أ ـ تختلف المعرفة العلمية عن المعرفة الحسية (التجريبية) فى أنها تعتمد على الملاحظة المنظمة للظواهر التى تعتمد على وسائل دقيقة للقياس ، فى حين تعتمد المعرفة الحسية على الملاحظة الذاتية البسيطة .

ب ـ تختلف المعرفة العلمية عن المعرفة الفلسفية فى أن مسائل العلوم محسوسة وملموسة يمكن الرجوع فيها إلى الواقع وحسها بالتجربة ، بخلاف مسائل الفلسفة التى

تتصف بأنها مجردة ، ولايمكن إخضاعها للتجربة . كما أن المعرفة العلمية تتسم بأنها موضوعية Objective فالباحث يتناول الظواهر والأشياء كما هى ، وفى حالتها الراهنة . أما الفلسفة وخصوصاً فلسفة القيم فإنها تخضع الأشياء لمعايير ذاتية.

جـ ـ تهتم العلوم بالعلل القريبة ، على حين تهتم الفلسفة بالعلل البعيدة ، فالبيولوجيا مثلاً : تنظر فى تركيب الأعضاء وأدائها ووظائفها ، بينما تحاول الفلسفة تفسير الحياة ذاتها التى هى علة الأعضاء وأفعالها .

المنهج العلمى .. والعلوم الإنسانية :

العلوم الطبيعية هى أول من استخدم المنهج العلمى فى البحث . أما العلوم الإنسانية فلم تستخدم المنهج العلمى إلا مؤخراً وذلك :

١ ـ لطغيان الفكر الفلسفى على العلوم الإنسانية لفترات طويلة . والذى يعتمد على الأسلوب الاستنباطى .

٢ ـ لصعوبة عزل العوامل المؤثرة فى العلوم الإنسانية وخاصة العلوم الاجتماعية. فالظواهر الاجتماعية معقدة ومتداخلة . وهذا التعقيد والتداخل يجعل من الصعب إخضاعها للأسلوب الاستقرائى .

ومن صعوبات البحث العلمى فى العلوم الاجتماعية[٦] :

١ ـ تغير الإنسان باستمرار ، مما يشكل صعوبة فى دراسة سلوكه وتصرفاته التى لايمكن ضبطها أو وضع مقاييس دقيقة لاختبارها .

٢ ـ التحيزات والميول الشخصية ، فنوعية الثقافة والبيئة التى يعيش فيها الإنسان والتنظيم الاجتماعى تؤثر فى سلوكهم وتجعلهم يجندون أفكاراً معينة ، ويميلون إلى تيارات سياسية معينة . كل هذه العوامل تؤثر فى النتائج النهائية وتدفع بالناس إلى تصنيف الباحث واعتباره منتمياً إلى تيار معين . بالإضافة إلى ذلك يضيف «فان دالين» الصعوبتين التاليتين وهما :

١ ـ صعوبة ملاحظة مادة الدراسة .

٢ ـ عدم تكرار مادة الدراسة .

وفي وقتنا الحالى ، تزداد الحاجة إلى استخدام المنهج العلمى فى البحوث

الاجتماعية، وذلك فى ظل التغيرات الاجتماعية التى حدثت ومازالت فى أماكن كثيرة من العالم.

فمع التغيرات السريعة تزداد المشكلات الاجتماعية . ولابد من إيجاد حلول لها حتى تواصل المجتمعات مسيرتها نحو التقدم والنمو . ووسليتنا إلى ذلك هى الاعتماد على البحوث العلمية . فعن طريق النتائج التى نتوصل إليها يمكن التنبؤ بالمشكلات والتعرف على العوامل المؤدية إليها ، ووضع البرامج الوقائية والعلاجية الكفيلة بمواجهتها والتغلب عليها[٧] .

ماهو العلم:

تختلف وتتسع دائرة تعريفات «العلم» بقدر اختلاف وكثرة من ارتادوا هذا المجال الرحب والواسع . ومن تلك التعريفات :

* يعرف جوليان هكسلى Jullian Huxely العلم : بأنه ذلك النشاط الذى يحصل عن طريقه الإنسان على قدر كبير من المعرفة لحقائق الطبيعة ، وكيفية السيطرة عليها[٨].

* ويرى لينين سميث T.L.Smith أن مصطلح العلم يستخدم للدلالة على المعرفة المصنفة والمنظمة المشتملة على الحقيقة[٩] .

* ويعرف ولف Walf العلم : بأنه نوع من المعرفة النظرية . ويختلف عن المهارات العقلية فى أنه تحصيل للحقائق والمبادىء التى تستخلص من تطبيق المنهج العلمى .

ومهما اختلفت التعريفات الخاصة بمفهوم «العلم» إلا أنها تتفق فى كونه نشاط اجتماعى منظم للحصول على المعرفة .

ويصنف البعض تعريفات العلم إلى فئتين متداخلتين هما[١٠] :

- تعريف العلم على أساس المضمون Content : يتمثل فى أنه عبارة عن تراكم المعرفة المتكاملة التى تتمثل فى مضمون التراث المتراكم للعلم الإنسانى على مر السنين.

- تعريف العلم على أساس العملية Process : يتمثل فى أنه عبارة عن ذلك النوع من النشاط الذى يساعد على اكتشاف المتغيرات الهامة فى الطبيعة ، والربط بين هذه المتغيرات ، وتفسير العلاقات القائمة بينها من خلال اكتشاف المبادىء والقوانين

الأساسية التى تنتظمها.

وهناك تعريف للعلم يوحد بين كل من المضمون والعملية ، يتصور العلم على أنه عبارة عن سلسلة مترابطة من المفاهيم Concepts والإطارات النظرية التى نشأت نتيجة للتجريب ، والمشاهدات، والتى تدفع إلى مزيد من التجارب والمشاهدات .

التعريف بمناهج البحث :

تجدر الإشارة إلى أن لكلمة (Method) معانى اصطلاحية مختلفة . فهى تعنى إجراء أو عملية لإحراز شىء أو لتحقيق هدف ، كما تعنى إجراء نظامياً فنياً وبخاصة فى البحث العلمى ، أو أسلوباً للاستقصاء يصلح لتخصص بعينه . وتعنى خطة نظامية لعرض مادة للتعليم أو التوجيه ، وتعنى كذلك فرعاً من المعرفة أو الدراسة يتناول مبادئ وتقنيات لتحقيق البحث العلمى .

والمنهج Method هو مجموعة من الاجراءات الذهنية التى يتمثلها الباحث مقدماً لعملية المعرفة التى سيقبل عليها من أجل التوصل إلى حقيقة مادة البحث .

أما كلمة بحث Research فهناك اختلاف واسع فى استخدامها وتفسيرات شتى لمعناها .

فالبحث يعنى الاجراءات الذهنية التى توضع موضع العمل متجهة إلى المادة المستهدفة وهذا يعنى أن الاجراءات المنهجية البحتة تقع بأسرها فى عالم الذهن بينما تأخذ إجراءات البحث طريقها إلى عالم الحس .

وهناك صعوبة فى الاتفاق على مفهوم محدد «للبحث العلمى» . فتعريفه ـ كما يرى كارتر جود Carter Good ـ يختلف باختلاف أنواع البحوث ومجالاتها وأهدافها ووسائلها وأدواتها. وبالتالى فإنه من الأفضل ألا ينشغل الدارس منذ بداية دراسته لمناهج البحث بمسألة التعاريف .

ولذا لن نخوض فى التعريفات الكثيرة والمتعددة للبحث العلمى ، ولكننا سنشير إلى بعض التعريفات التى تلقى الضوء على أهم خصائص البحث العلمى .

ـ عرف «فان دالين Van Dallen » البحث العلمى بأنه المحاولة الدقيقه الناقدة للتوصل إلى حلول للمشكلات التى تؤرق الإنسان وتحيره .

ـ عـرف «هوويتنى Whittney » فـى كتابـــه خطـوات البحـث أو مفهـوم البحـث Elements of Research البحـث العلمى بأنه عبارة عن عمليـات فحص دقيقة ومستمرة للوصول إلى حقائق أو قواعد عامة والتحقق منها .

وعـرف كـيرلنجر « Kerlinger » البحث العلمى بأنـه عمليـات مسـتمرة ومتصلة تهدف إلى التعـرف علـى المشـــكلات وتحديدهـــا ، ثـم تكوين الفـروض وتحقيقهـا واسـتخلاص النتـائج وتعميمهـا . ومنـه يقرر البـاحث لمـاذا أجرى دراسته ، ومـا هى الخطـوات التى اتبعهـا فـى إجرائهـا . ومـا أهـم النتـائج التى توصـل إليهـا . ومـا هى الإسهامات التى قدمتها تلك النتائج فى بناء المعرفة العلمية أو التراث العلمى[١١] .

والحقيقـة أن هذا التعريـف من التعريفـات الهامـة للبحـث العلمى ؛ لاشـتماله على معظـم خطوات البحـث العلمـى . فهو يؤكـد علـى تحديد المشـــكلات ، ثـم تكوين الفـروض والتحقق من صحتهـا ، ثـم التوصل إلى النتـائج وتعميمهـا . كمـا أنـه يصف البحث العلمى بأنـه عمليـة مسـتمرة ومتصلـة . وعمليـة الاسـتمرارية تؤكد علميـة ومنهجيـة البحث . حيث إنـه ينبغى النظر إلى البحث العلمـى على أنـه عمليـة دائريـة متصلـة مع نفسـها ومع غيرها من البحوث . فـالبحث العلمى لايبدأ من فراغ ولايقف عند نقطة معينة .

وإذا كان من غير المسـتغرب أن يحرص الغربيون على ذكر علماء المنهج فى بلادهم من أمثال «بيكون» و «ديكارت» و «جون ستيوارت ميل» و «كلود برنار» و«إميل دوركايم» ويغفلون ذكر العلمـاء المنهجيين العرب ، فإنه لما يدعـو إلى الاستغراب حقاً أن ينسخ الكتاب العرب المعاصرون على منوالهم ، ولايرجعون إلى تراثهم العربي لإبراز ما فيـه من جهود فى المنهج العلمى ، وإرشـادات فى إجراء البحـوث ، وأعمال علمية أصيلـة متكاملة . ويكفينا أن نذكر منهم : البخارى ومسلم ، ولكل منهما منهجه فى علـم أصول الحديـث ، والبـيرونى والإدريســى ولكل منهمـــا منهجـه فـى علم وصف الشـــعوب . وأخـيراً ـ وليـس آخراً ـ ابـن خلـدون منشـــىء علم الاجتمـــاع ومبتكر موضوعه: الاجتماع الإنسانى والعمران البشرى ، وله منهج أصيل وضعه وفصله[١٢] .

وفى العلوم الطبيعيـة ، نجد مجموعـة من العلمـاء والعرب الذين كتبوا أبحـاثهم وفق منهج علمـى سليم ، وسـارت أبحاثهم وفق خطـط إجرائية علميـة مقننة مثل : أبو بكر الرازى (الكيماء) وابن سينا (الطب) وابن النفيس (مكتشف الدورة الدموية) وغيرهم.

ويولد البحث العلمى نتيجة لحب الاستطلاع ، ويغذيه الشوق العميق إلى معرفة الحقيقة وتحسين الوسائل التى نعالج بها مختلف الأشياء . إن البحث العلمى يعتبر بحق شيئا ثمينا ذلك لأنه يمنح الإنسان مفتاحاً للتقدم الاجتماعى .

ولكى يتصف بحث ما بالعلمية لابد من اشتماله على ثلاثة عناصر أساسية هى : الموضوع ، والمنهج ، والهدف .

ويقصد بالموضوع وجود ظاهرة أو مشكلة معينة تستحق الدراسة ويعود بحثها بالفائدة على المجتمع.

ويقصد بالمنهج اتباع البحث للخطوات العلمية السليمة والالتزام بالحياد والموضوعية .

ويقصد بالهدف ، تحديد البحث للهدف أو مجموعة الأهداف التى يسعى للوصول إليها ، وأن تكون تلك الأهداف إضافات جديدة فى ميدان البحث . وأن يضع الباحث نصب عينيه توصيل نتائج بحثه إلى الأشخاص والهيئات التى تعنيهم تلك النتائج.

والمنهج العلمى يبدأ بمرحلة الملاحظة ، ملاحظة منظمة للظواهر الطبيعية التى يراد بحثها . وتأتى بعد الملاحظة مرحلة التجريب ، حيث توضع الظواهر فى ظروف يمكن التحكم فيها ، مع توزيع هذه الظروف كلما أمكن . ومن مجموع التجارب يتكون لدينا عدد كبير من القوانين الجزئية التى يبدو كل منها مستقلاً عن الآخر ، والتى نظل فى هذه المرحلة عاجزين عن الربط بينها ، لأن التجربة وحدها لا تتيح لنا أن نصل إلى أية نظرية لها طابع عام . وفى المرحلة التالية يستعين العلم بتلك القوانين الجزئية المتعددة التى تم الوصول إليها فى المرحلة التجريبية لكى يضمها كلها فى نظرية واحدة . وفى كثير من الحالات يلجأ العلم ، بعد الوصول إلى النظرية العامة ، إلى الاستنباط العقلى .

وهكذا يسير المنهج العلمى المعترف به ـ فى ضوء التطور الحاضر للعلم ـ من الملاحظات إلى التجارب ثم إلى الاستنتاج العقلى وإلى التجارب مرة أخرى[1] .

طبيعة البحث فى دراسات الطفولة :

ساعد الباحثون التربويون بإجراء دراسات لجمع معلومات وافية عن طبيعة الأطفال. ويعتبر «ج. ستانلى هول» مؤسس حركة دراسة الطفولة ، وبعده قام مئات

من الباحثين بدراسات للحصول على معلومات أكثر دقة تعين على فهم النمو الجسمى والإنفعالى والعقلى والاجتماعى للبنين والبنات . كما أثرت نتائج البحوث التى توصل إليها كل من جيزيل Gessell وبالدوين Baldwin ، وديربورن Dearborn ، وروثنى Ro-thney ، وإيلج Ilg ، وأوج Ogg ، وأولسون Olson وغيرهم من العاملين بمعامل دراسة الطفولة تأثيراً كبيراً فى ألوان السلوك التى يتبعها المدرسون والآباء والعاملون فى مجال الخدمة الاجتماعية ، وهم يوجهون نمو الشباب(١٤) .

وكانت تلك الدراسات بداية لتطور وازدهار دراسات الطفولة ، والأساس الذى قامت عليه مبادىء دراسات الطفولة .

وجدير بالذكر أن دراسات الطفولة تتنوع وتدخل فى عدة علوم مثل : الطب الذى يعنى بدراسة الطفولة من الناحية الصحية والوقائية ، وعلم النفس الذى يدرس خصائص مراحل الطفولة وسمات الشخصية وغيرهما . والتربية التى تدرس تربية الطفل وبرامج الطفولة ، ثم الإعلام الذى يعنى بدراسة تأثير وسائل الإعلام على الطفولة ، ودورها فى تربية وتعليم الطفل . كما يدرس وسائط ثقافة الأطفال وغيرها من المجالات التى تدخل ضمن اهتمامات «إعلام وثقافة الطفل» .

وتجدر الإشارة إلى أن «دراسات الطفولة الإعلامية» أو «إعلام وثقافة الطفل» تدخل ضمن وتتكامل مع جميع مجالات الطفولة الأخرى ، فالدراسات الطبية فى حاجة إلى الإعلام سواء للكبار أو للأطفال ، والدراسات النفسية والاجتماعية يكملها ويؤثر فيها إعلام وثقافة الطفل ، وخاصة أن «الدراسات الاجتماعية» التى تجمع كل هذه الدراسات ، يكون من الصعوبة بمكان عزل المتغيرات التى تؤثر فى الظاهرات محل الدراسة .

طبيعة البحث فى إعلام وثقافة الطفل :

منذ بداية البحوث الإعلامية ، والطفولة تشكل محوراً أساسياً من محاورها ، فكانت الدراسات التى تناولت تأثير التليفزيون على الأطفال مثل دراسة «هيملوايت» وغيرها، ودراسات خاصة بمقروءية الصحف بالنسبة للأطفال. إلا أنه ـ نظراً لزيادة الاهتمام بالطفولة فى الفترة الأخيرة ولاتجاه العلم إلى التخصص ، ونظراً لازدياد وعظم تأثير وسائل إعلام وثقافة الطفل فى المجتمعات المختلفة . ونظراً للتغيرات المتلاحقة التى يشهدها العالم والتى تستتبع تربية وتنشئة الأطفال بطريقة تتلاءم مع تلك التغيرات .

ونظراً لكل ما تقدم ظهرت الحاجة إلى وجود مقتضيات وإجراءات خاصة بطبيعة البحث فى إعلام وثقافة الطفل . وأصبح هذا الفرع من دراسات الطفولة فرعاً مستقلاً له مناهجه فى البحث العلمى ، والتى لا تختلف مع مناهج البحث فى العلوم الأخرى من اتباعها للإجراءات العلمية . ولكنها - مع ذلك - لها طبيعة خاصة تميزها عن العلوم الأخرى ، حيث إنها تدرس فئة خاصة وهى فئة الأطفال ، كما إنها تجمع بين العديد من المتغيرات التى تتطور دائما وأهمها متغير «وسائل الإعلام» .

ولعل أهم الصعوبات التى تواجه عملية البحث فى إعلام الطفل ، لا تختلف كثيراً عن تلك الصعوبات الخاصة بالبحث فى الإعلام بصفة عامة . وأهم تلك الصعوبات أو التحديات :

١ - عدم وجود نظرية واحدة متفق عليها ، بمعنى وجود أكثر من اتجاه لا يلتقى معظمها فى نقاط مشتركة . بالإضافة إلى تعصب كل مؤيد لنظرية لافتراضات هذه النظرية . كما أن معظم - أو كل - النظريات التى تقوم عليها بحوث الإعلام فى مصر هى نظريات أجنبية ، وجدت فى مناخ وإطار مختلف عما هو موجود لدينا . وبالتالى قد لاتصلح أساساً للتطبيق والاختبار عندنا .

ثمة صعوبة أخرى خاصة ببحوث إعلام الطفل ، وهى أن الباحث غالبا ما يلجأ إلى أكثر من نظرية علمية فى الإعلام ، وفى الطفولة أو علم النفس .

٢ - الاهتمام بقياس الأثر قصير المدى - خاصة وأن أثر وسائل الإعلام يحدث بصورة تراكمية - ويأتى ذلك من صعوبة قياس الأثر التراكمى ، وصعوبة إجراء الدراسات التتبعية على الأطفال ، نظراً لاختلاف خصائص نموهم من مرحلة عمرية لمرحلة أخرى .

٣ - التطور الهائل والسريع فى مجال تكنولوجيا الاتصال ، وما يتبعه من تدفق كم هائل من المعلومات . مما يجعل من الصعب استخدام ما تسفر عنه نتائج الأبحاث والدراسات فى ترسيخ نظريات خاصة بالإعلام وثقافة الطفل .

٤ - تخوف الباحثين من الخوض فى موضوعات جديدة . وما يتبعه من تكرار البحث فى مشكلات وقضايا سبق دراستها .

وقد يرجع ذلك إلى استسهال بعض الباحثين أو إلى عدم تدريب طلاب البحث على الإقدام على دراسة الموضوعات الجديدة واستخدام مناهج حديثة فى البحث.

مراجع الفصل الأول

(١) فان دالين . «مناهج البحث فى التربية وعلم النفس» ، ط٤ ، الأنجلو المصرية ، ١٩٩٠ .

(٢) فان دالين . نفس المرجع السابق ، ص٦٧ .

(٣) جون ديكسنون . «العلم والمشتغلون بالبحث العلمى فى المجتمع الحديث» ، الكويت: سلسلة عالم المعرفة ، (العدد ١١٢) إبريل ١٩٨٧ .

(٤) فؤاد زكريا . «التفكير العلمى» ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦، ص ٢٦ .

(٥) عبد الباسط محمد حسن . «أصول البحث الاجتماعى» ، ط٦ ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٧ ، ص ٢٦ .

(٦) جون ديكنسون . «العلم والمشتغلون بالبحث العلمى فى المجتمع الحديث» ، مرجع سابق .

(٧) محمد الجوهرى وعبد الله الخريجى . «مناهج البحث العلمى» ، ط٢، جدة : دار الشروق ، ١٩٨٠ .

(٨) Jullian Huxely ; "Man in Modern World" , New American Library, N. Y, 1949

(٩) Lynn Smith, "The sociology of Rural Life", 3rd Ed, Harper and brothers publishers, N. Y. 1955 .

(١٠) عبد الحليم محمود السيد . «مناهج البحث فى علم النفس» ، مكتبة جامعة القاهرة ، ١٩٨٦ .

(١١) kerlinger, "Foundation Of Behavioral Research", N. Y. 1964, P. 691.

(١٢) فان دالين . «مناهج البحث فى التربية وعلم النفس» ، مرجع سابق .

(١٣) فؤاد زكريا . «التفكير العلمى» ، مرجع سابق ، ص٤٦ .

(١٤) فان دالين . «مناهج البحث فى التربية وعلم النفس» ، مرجع سابق .